

تفسير ابن كثير

غَاْفِرِ الذَّنْبَ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ

وقوله : (غافر الذنب وقابل التوب) أي : يغفر ما سلف من الذنب ، ويقبل التوبة في

المستقبل لمن تاب إليه وخضع لديه . وقوله : (شديد العقاب) أي : لمن تمرد وطغى

وأثر الحياة الدنيا ، وعتا عن أوامر الله ، وبغى [وقد اجتمع في هذه الآية الرجاء والخوف

[. وهذه كقوله تعالى : (نبيّ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم)

[الحجر : 49 ، 50] يقرن هذين الوصفين كثيرا في مواضع متعددة من القرآن ؛ ليبقى

العبد بين الرجاء والخوف . وقوله : (ذي الطول) قال ابن عباس : يعني : السعة والغنى .

وكذا قال مجاهد وقتادة . وقال يزيد بن الأصم : (ذي الطول) يعني : الخير الكثير . وقال

عكرمة : (ذي الطول) ذي المن . وقال قتادة : [يعني] ذي النعم والفواضل . والمعنى :

أنه المتفضل على عباده ، المتطول عليهم بما هو فيه من المن والأنعام ، التي لا يطيقون

القيام بشكر واحدة منها ، (وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها [إن الإنسان لظلوم كفار]

([إبراهيم : 34] . وقوله : (لا إله إلا هو) أي : لا نظير له في جميع صفاته ، فلا إله

غيره ، ولا رب سواه (إليه المصير) أي : المرجع والمآب ، فيجازي كل عامل بعمله ،

(وهو سريع الحساب) [الرعد : 41] . وقال أبو بكر بن عياش : سمعت أبا إسحاق

السبيعي يقول : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] فقال : يا أمير المؤمنين

إني قتلت ، فهل لي من توبة ؟ فقرأ عليه (حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم .

غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب) وقال : اعمل ولا تيأس . رواه ابن أبي حاتم -

واللفظ له - وابن جرير . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا موسى بن مروان الرقي ،

حدثنا عمر - يعني ابن أيوب - أخبرنا جعفر بن برقان ، عن يزيد بن الأصم قال : كان رجل

من أهل الشام ذوبأس ، وكان يفد إلى عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] ، ففقد عمر

فقال : ما فعل فلان بن فلان ؟ فقالوا : يا أمير المؤمنين ، يتابع في هذا الشراب . قال :

فدعا عمر كاتبه ، فقال : اكتب : " من عمر بن الخطاب إلى فلان ابن فلان ، سلام عليك

، [أما بعد] : فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، غافر الذنب وقابل التوب ،

شديد العقاب ، ذي الطول ، لا إله إلا هو إليه المصير " . ثم قال لأصحابه : ادعوا الله

لأخيكم أن يقبل بقلبه ، وأن يتوب الله عليه . فلما بلغ الرجل كتاب عمر جعل يقرؤه

ويردده ، ويقول : غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ، قد حذرني عقوبته ووعدني أن يغفر لي .ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث جعفر بن برقان ، وزاد : " فلم يزل يرددّها على نفسه ، ثم بكى ثم نزع فأحسن النزع فلما بلغ عمر [رضي الله عنه] خبره قال : هكذا فاصنعوا ، إذا رأيتم أخاكم زل زلة فسدوده ووقفوه ، وادعوا الله له أن يتوب عليه ، ولا تكونوا أعوانا للشيطان عليه .وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عمر بن شبة ، حدثنا حماد بن واقد - أبو عمر الصفار - ، حدثنا ثابت البناني ، قال : كنت مع مصعب بن الزبير في سواد الكوفة ، فدخلت حائطاً أصلي ركعتين فافتحت : (حم) المؤمن ، حتى بلغت : (لا إله إلا هو إليه المصير) فإذا رجل خلفي على بغلة شهباء عليه مقطعات يمنية فقال : إذا قلت : (غافر الذنب) فقل : " يا غافر الذنب ، اغفر لي ذنبي " . وإذا قلت : (وقابل التوب) ، فقل : " يا قابل التوب ، اقبل توبتي " . وإذا قلت : (شديد العقاب) ، فقل : " يا شديد العقاب ، لا تعاقبني " . قال : فالتفت فلم أر أحداً ، فخرجت إلى الباب فقلت : مر بكم رجل عليه مقطعات يمنية ؟ قالوا : ما رأينا أحداً فكانوا يرون أنه إلياس . ثم رواه من طريق أخرى ، عن ثابت ، بنحوه . وليس فيه ذكر إلياس .